Towards Creating Empowered Elites

https://doi.org/10.57642/AJOPSY--2

Boufeldja Ghiat
ghiat.boufelja@univ-oran2.dz
Oran 2 Univerity, Mohamed Ben Ahmed, Algeria
Received: 17/07/2023 Accepted: 20/10/2023 Published: 31/12/2023

Abstract

For the development of any society, empowered elites in various social, scientific, economic and political fields are needed. This led developed countries to pay attention to the creation of elites and the methods of training them, which led to positive impacts on their economic development. Due to the importance of this category, it has become necessary for psychologists and sociologists to pay attention to this group, in studying its characteristics, and ways to support it, so that it can play a leading role in society. This research shed light on the reality of the elite category through observation and analysis of their practices, as a result of contact with Algerian graduate students. Their personal characteristics were studied and found to be characterized into cognitive, psychological, and behavioral aspects, each of which has a set of characteristics. It was also found that not all university degree holders can belong to the empowered elite. This raises the question about the extent to which the Algerian university is able to create and train elites and the reasons for their inability to do so.

Keywords: empowerment; empowered personality; elites, creating elites; university.

نحو إيجاد نخب متمكّنة

بوفلجة غيات
ghiat.boufelja@univ-oran2.dz
جامعة وهران 2، محمد بن أحمد، الجزائر
الاستلام: 2023/07/17 القبول: 2023/10/20 النشر: 2023/12/31

ملخص

لتطوّر أي مجتمع وأي دولة لا بدّ من نخب متعلمة ومتمكنة في مختلف المجالات الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية. وهو ما دفع الدول المتقدمة إلى العناية بالنخب المتمكنة وبأساليب تدريبها، مما أدى إلى التأثير الإيجابي على مستوى تطورها. ولأهمية هذه الفئة، أصبح من الضروري على علماء النفس والاجتماع الاهتمام بها ودراسة خصائصها وطرق تدعيمها حتى تقوم بدورها الريادي في المجتمع. وقد اهتم هذا البحث بدراسة واقع فئة النخب المتمكنة، من خلال المعايشة والملاحظة، وتحليل ممارساتها على أرض الواقع، نتيجة الاحتكاك بطلبة الجامعة الجزائرية خصوصا ومتابعة ما يجري بالجامعات العربية عموما. لذلك، يلقي هذا البحث الضوء على خصائص الشخصية المتمكنة، باعتبارها تتميز بجوانب معرفية ونفسية وأخرى سلوكية، ولكل منها مجموعة من الخصائص. كما وجد أنه ليس بإمكان كل حملة الشهادات الجامعية الانتماء إلى فئة النخبة المتمكنة في المجتمع. وهو ما يطرح سؤال مدى تمكن الجامعة الجزائرية والعربية عموما من تكوين نخب متمكنة وأسباب عجزها عن ذلك.

الكلمات المفتاحية: التمكّن؛ الشخصية المتمكنة؛ النخب؛ بناء النخب؛ الجامعة.

مقدمة

تبرز في كل مجتمع نخب متعلمة ومتمكنة في مختلف المجالات الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية...، تساعد على قيادته. ذلك أن الشعوب والأمم تتطور بطاقاتها البشرية وبنخبها المتمكنة. لذا يجب العناية بأساليب تطويرها لتصل إلى درجة من الفعالية تسمح لها بالتأثير الإيجابي على المجتمع وعلى الدولة مما يمكنها من الرقي والتطوّر. مهما كانت الدولة غنية بإمكانياتها المادية، إلا أن ذلك لا يؤدي إلى تطوّرها وتقدمها في غياب وجود نخب متعلمة ومتمكنة. ذلك أن الدول تتقدم وتتطور بمواردها البشرية ومدى تمكنها من أداء مهامها القيادية. إذ هناك كثير من الدّول الغنية بمواردها المادية إلا أنها تصنف كدول نامية. فرغم غنى الجزائر وليبيا ونيجيريا مثلا، من حيث مواردها الطاقوية، إلا أنها تبقى دولا نامية. فعندما انخفضت عوائد الجزائر من صادرات الطاقة، مع أواخر القرن العشرين بسبب انهيار أسعاره، عانت من أزمة اقتصادية كانت نتائجها وخيمة. حيث اضطرت إلى الاقتراض من صندوق النقد الدولي الذي فرض عليها شروطا قاسية. في حين نجد دولا فقيرة من حيث مواردها الطبيعية، ومع ذلك فهي دول متطوّرة ومصنعة، كاليابان مثلا، وذلك نتيجة فعالية وكفاءة وتمكّن مواردها البشرية ونخبها السياسية والاقتصادية. وهكذا نجد أن الدول المتقدمة تحتوي على نخب علمية واجتماعية وسياسية متمكنة. وتساهم نظمها التعليمية، وخاصة جامعاتها بجودتها وفعاليتها، في تخريج كفاءات علمية متمكنة، مما ساعد على إيجاد نخب متمكنة. أما الدّول المتخلفة أو ما يطلق عليها بالدول النامية، فإن نظمها التربوية وجامعاتها فشلت في صناعة ما تحتاج إليه من نخب. حيث قامت بتخريج حاملي شهادات غير متمكنين، مما يؤثر سلبا على مستوى التطوّر والتقدّم بتلك الدول. لهذا أصبح من الضروري على مسؤولي النظم التربوية بتلك الدول، وعلى علماء النفس والاجتماع بها، الاهتمام بهذه الفئة والتعرف على سلبيات ونقائص تكوينها، من أجل تدارك الأخطاء والعمل بما يجب من أجل تدارك نقائصها. وهي جوانب مهمة قلت الدراسات الميدانية الهادفة إلى فهمها والتعرف على شروط نجاحها. وقد قام الباحث بإلقاء الضوء على فئة النخب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مركزا على حاملي الشهادات الجامعية، وبعض الذين برزت أسماؤهم إعلاميا كمنتمين إلى فئة النخبة، في مختلف المواقع الثقافية والسياسية والاقتصادية. ويعتقد الكثير أن جل حاملي الشهادات الجامعية ينتمون إلى فئة المثقفين المتمكنين، إلا أن الواقع يثبت أن عددا كبيرا منهم، بما في ذلك من هم من حاملي أعلى شهادة جامعية، أي الدكتوراه، لا يمكن أن نطلق عليهم مثقفين ولا مبدعين ولا أكفاء متمكنين، بل إن عددا كبيرا منهم يصبحون عاطلين عن العمل. وهو ما يؤكد ضرورة إعادة النظر في مناهج الجامعات الجزائرية والعربية عموما، حتى تصبح الجامعة مركزا لتكوين نخب حقيقية متمكنة في مختلف المجالات، يمكنها التدخل بفعالية من أجل التأثير الإيجابي على واقع مجتمعاتها. إذ أنه لا يمكن تحقيق أي تنمية اقتصادية واجتماعية دون وجود نخب متمكنة.

فما مفهوم النخب؟ وما مفهوم التمكين؟ وما هو واقع من يطلق عليهم النخب بجل دول الوطن العربي؟ وما دور الجامعات في صناعة النخب؟ هي أسئلة نحاول الإجابة عنها من خلال هذه الورقة.

مفهوم النخب

للنخب أهمية كبيرة في أي مجتمع لكونها القائدة والمسيرة في مختلف المجالات. وقبلَ التطرق إلى أهميتها وأثرها في المجتمع، وشروط تكوينها وصناعتها، نتطرق إلى مفهومها اللغوي. ذلك إنَّ المدلول اللّغوي عادةً يمثّل المنطلق للمدلول الاصطلاحيّ للقضايا المعرفيّة. فكلمة "نخبة" في اللغة مشتقة من الجذر "ن خ ب" بمعنى اختار واصطفى، فالنّخبة هم خيار النّاس وصفوتُهم، والانتخاب هو الاختيار والاصطفاء؛ فقد جاء في معجم مقاييس اللّغة لابن فارس: "النُّخْبَةُ: خِيَارُ الشَّيء. وهوَ مُنتَخَبٌ أي مُخْتَارٌ". وجاء في لسان العرب لابن منظور: "نخب: انتخب الشيء: اختاره، والنخبة: ما اختاره منه، ونُخْبة القوم ونخَبَتهم: خيارهم. والانتخاب: الاختيار والانتقاء، ومنه النخبة؛ وهم الجماعة تختار من الرجال (أو النساء)". يستخدم مفهوم النخبة (Élite) بصورة عامة للدلالة على ما هو متميز بجودته ونوعيته، غير أنه في العلوم الاجتماعية يتسع ليدل على الجماعات الاجتماعية المتميزة بخصائصها ومواقعها الإدارية والتنظيمية، وخاصة ذوي النفوذ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. ومن الملاحظ أن استخدام مفهوم النخبة بهذا المعنى لم يكن منتشراً في العلوم الاجتماعية والكتابات السياسية إلا منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وخاصة في الثلاثينيات، وقد انتشر في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا، وساد استخدامه في النظريات الاجتماعية التي أولت اهتماماً كبيراً بمظاهر التفاضل الاجتماعي، وظهر ذلك بصورة خاصة في كتابات فيلفريدو باريتو Vilfredo Pareto (Pareto, 1991)، الذي يعدّ من الأوائل الذين أعطوا مفهوم النخبة حيزا واسعا من اهتماماتهم. ويرى بوزيان أن "النخبة هي مجموعة من الأفراد المتميّزين الذين يملكون قيمة ومكانة اجتماعية راقية داخل مجتمعهم". "وهي نتاج طبيعي لمعرفة مستفيضة ورؤية مستنيرة للواقع، يتم اكتسابها من خلال البحث والمطالعة والخبرة، مما يجعل الأفراد المعنيين يتميزون عن غيرهم، فيرتقون ليصبحوا ضمن صفوة المجتمع" (بوزيان، 2012، ص. 551). كما يحدد روشيه G. Rocher مفهوم النخبة باعتبارها: "الصفوة وتضم أشخاصا وجماعات، والذين بواسطة القوة التي يمتلكونها أو بواسطة التأثير الذي يمارسونه، يشاركون في صياغة تاريخ الجماعة، سواء كان ذلك عن طريق اتخاذ القرارات أو بالأفكار، أو الإحساسات والمشاعر التي يبدونها أو التي يتخذونها شعارا لهم" (السويدي، 1990، ص. 62).

تحتاج النخب إلى توفر مجموعة من الخصائص النفسية، الضرورية للتمكن، كما هي موضحة في الجدول 1. يضاف إلى ذلك خصائص أخرى ومن أهمها:

- الإيثار؛

- القدرة على التأثير على الآخرين؛
- قوة الخطاب؛
- السعي إلى خدمة المجتمع.

وهي خصائص نفسية نجدها بقوة فوق المتوسط عند الأفراد الذين ينتمون إلى النخبة المؤثرة في المجتمع.

مفهوم التمكين

يعتبر التمكين من أهم المفاهيم انتشارا في السنوات الأخيرة. وقد بدأ الاهتمام به مع نهاية القرن العشرين، وتوسع مع ظهور المقاولات في المجال الاقتصادي وتوسّع الإقبال على ريادة الأعمال (Entrepreneurship)، وما يتطلبه ذلك من خصائص نفسية وقدرات وكفاءات. ينطوي مفهوم التمكين على ذكاء الأفراد وكفاءاتهم، وقدرتهم على التصرف بحكمة لمواجهة مختلف المشاكل وإيجاد الحلول المناسبة لمختلف العوائق وقدرتهم على قيادة المجتمعات، حيث يتميزون بالقوّة. ولفهم معنى المفهوم، من الضروري التطرق إلى أصله باللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية. فمعنى القوّة باللغة الإنجليزية (Power) وباللغة الفرنسية (Pouvoir). وقد انبثق من الكلمة الإنجليزية مفهوم التمكين (Empowerment)، أي جعل الفرد أو المجتمع أكثر قوة. وتستعمل في اللغة الفرنسية نفس الكلمة المستعملة في اللغة الانجليزية. وبالتالي فإن مفهوم التمكين معناه توفر الأفراد على مجموعة من الشروط الضرورية ليصبحوا أكثر قوة، وبالتالي يصبحون متمكنين.

تستعمل كلمة "تمكين" في اللغة العربية للدلالة على نفس المعنى المستعمل في اللغة الإنجليزية. ومعناه التعزيز والتقوية، وهو من الفعل مكّن يمكّن، و"مكّنه من الشيء، أي جعل له عليه سلطانا وقدّره، جعله يتمكّن منه وفيه" (رضا، 1960، ص. 333).

أمّا اصطلاحا، فهو "عمليّة منح السلطة القانونيّة، أو تخويل السلطة إلى شخص ما، أو إتاحة الفرصة للقيام بعمل ما" (قنديل، 2008، ص. 98). وهو المفهوم المستعمل في القرآن الكريم. حيث تمّت الإشارة إلى موضوع التمكين في عدة آيات لقوله تعالى: " إِنَّا **مَكَّنَّا** لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" (سورة الكهف/ 84). وقوله أيضا: " وَلَقَدْ **مَكَّنَّاكُمْ** فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُون" (سورة الأعراف / 10). وقوله تعالى: " وَكَذَٰلِكَ **مَكَّنَّا** لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (سورة يوسف / 56). وهي آيات قرآنية على سبيل المثال لا الحصر. وقد تنوعت في مواضيع تنزيلها، فهي سور توضح تمكين الله تعالي لرسله وأنبيائه وعباده المؤمنين. كما توجد آيات أخرى تبرز حصول غير المؤمنين على التمكين، كقوله تعالى: " إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ" (سورة القصص/ 76). حيث يرتبط التمكين بامتلاك الأفراد لمجموعة من القدرات المادية والعقلية والبدنية، لقوله تعالى: "وَلَقَدْ **مَكَّنَّاهُمْ** فِيمَا إِن **مَّكَّنَّاكُمْ** فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (سورة الأحقاف/ 26).

وقد أصبح مفهوم التمكين أكثر ارتباطا بالمقاولاتية وريادة الأعمال، لكونه يحتاج إلى مجموعة من الخصائص والكفاءات، ومنها الذكاء والإبداع والثقة بالنفس والتمتع بروح المبادرة والبحث عن الفرص... (Audretsch, 2007؛ غيات، 2020). ويعرّف البنك الدولي التمكين على أنه: "عمليّة تهدف إلى تعزيز قدرات الأفراد أو الجماعات لطرح خيارات معيّنة، وتحويلها إلى إجراءات أوسياسات، تهدف في النهاية لرفع الكفاءة والنزاهة التنظيميّة لمؤسّسة أو تنظيم ما" (قنديل، 2008، ص. 98). وكثيرا ما يستعمل هذا المصطلح في أدبيات الحديث عن هذا الموضوع عند التطرق إلى تمكين المرأة وجعلها قوية في مواجهة الصعوبات والعوائق الثقافية والاجتماعية والمادية، حتى تصبح أكثر قدرة على مواجهة الرجل، خاصة في المجتمعات الذكورية، كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات العربية. ويتم استعماله أيضا عند الحديث عن تمكين المجتمعات الفقيرة والمهمشة، لتصبح أكثر قوة في مواجهة الصعوبات والعوائق المادية، مع منحها إمكانية الحفاظ على مستوى من الاستقلالية والاعتماد على النفس. وهنا تظهر أهمية ربط التمكين بالنخب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. إذ لا يمكن الانتماء إلى النخبة أو الصفوة في مجتمع دون التحلي بصفة التمكّن بمجموعة من الخصائص والتحلي بمجموعة من الكفاءات.

خصائص الشخصية المتمكنة

حتى يكون الفرد متمكنا، عليه أن يتميز بمجموعة من الخصائص النفسية، يمكن تلخيصها في ثلاثة جوانب، وهي الجوانب المعرفية والجوانب النفسية والجوانب السلوكية كما هو موضح في الجدول 1.

جدول 1

خصائص الشخصية المتمكنة

جوانب معرفية	جوانب نفسية	جوانب سلوكية

كفاءة علمية ومعرفة	الثقة بالنفس	احترام الوقت
التفكير المنطقي والعلمي	القدرة على الإبداع	القدرة على تجاوز الصعوبات والعوائق
القدرة على التعلّم من الأخطاء	الفطنة	القدرة على استغلال الوسائل المادية المتوفرة
الاستفادة من التجارب	الإيجابية	القدرة على الاتصال
الاستقلالية في البحث عن المعلومات	الاستقلالية	القدرة على اقتناص واستغلال الفرص
التمكن من خدمات الشبكة العنكبوتية	الانضباط	
القدرة على استعمال الفضاء الأزرق	الصرامة	
	المواظبة	

توفر الإمكانيات المادية ليس كافيا ليصبح الفرد متمكنا، إذ يحتاج إلى شخصية متميّزة. حيث أن شخصية الفرد المتمكن هي تقريبا نفس شخصية رجل الأعمال الناجح. فكثير من الشباب حصلوا على إمكانيات مادية وفرتها لهم الدولة الجزائرية عن طريق الوكالة الوطنية لتشغيل الشباب "لانساج" (LANSEJ)، إلا أنهم فشلوا في إنشاء مقاولات ناجحة، بسبب فقدانهم لشخصية مقاولة ومتمكنة من الناحية النفسية. وبالتالي فهم لا يتمتعون بشخصيات متمكنة.

أهمية التمكين في تطوّر المجتمعات

إن الدول المتقدمة والمصنعة هي الدّول التي نجد بين مواطنيها عددا كبيرا من الكفاءات ومن الأفراد المتمكنين، مما يساعد على نموهم وتطورهم. في حين يرجع انتشار مستوى الجهل وضعف المستوى التربوي والتعليمي في البلاد، إلى قلة عدد المتمكنين في المجتمع والدولة وبالتالي إلى التخلف. ويمكن تحقيق التنمية المستدامة من خلال إيجاد جامعة متطورة وفعالة، تساهم في تخريج كفاءات متمكنة، باستطاعتها أن تصبح نخبا قيادية تساهم في إحداث التنمية كما هو موضح في الشكل 1.

شكل 1

إعداد النخبة القيادية والطريق إلى التطور

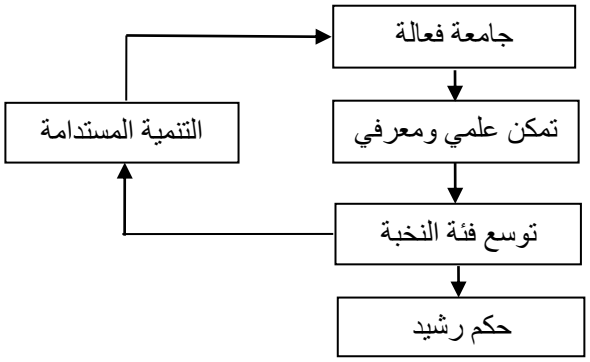

كما أن ارتفاع عدد المتمكنين في المجتمع يؤدي دون شك إلى بروز نخب اجتماعية واقتصادية وسياسية وعلمية، تساهم دون شك في دفع عجلة التطوّر والتنمية إلى الأمام. كما أن توسع قاعدة الأفراد المتمكنين في المجتمع تؤدي إلى الزيادة في حجم النخب، وما لذلك من أثر على مستوى التنمية في أي بلد.

شروط صناعة النخب المتمكنة

إن النخبة هي مجموعة متميزة لها دور في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهي قاطرة أي تقدم وتطوّر. فهي لا تظهر فجأة عن طريق الصدفة، في عصر يتميّز بالتطوّر السريع وكثرة العوائق والتحديات. بل هي عملية طويلة معقدة تحتاج إلى تخطيط وعناية وتنمية وتطوير، وهي ما يطلق عليه بصناعة النخب. ويتم ذلك بتضافر الجهود والقيام بمجموعة من الإجراءات. تتمثل أولها في إيجاد منظومة تربوية سليمة وفعالة، يتم من خلالها تدريس الطلبة المعلومات الضرورية وتدريبهم على المهارات اللازمة للنجاح في مختلف المجالات الاجتماعية والمهنية والسياسية. وبذلك، على المنظومة التربوية أيضا تنمية مجموعة من الخصائص النفسية الضرورية، والتي تسمح بالتمكّن والنجاح، وهي جوانب قليلا ما تعيرها المنظومات التربوية في الوطن العربي أي اهتمام. كما يتطلب إيجاد محيط مناسب يسمح للأفراد بالعمل والاجتهاد وإبراز كفاءاتهم، وتقليص كلّ العوائق المادية والبيروقراطية، وتحسين مناخ الأعمال في الدولة عموما، والتشجيع على المنافسة السليمة بكل عدالة وشفافية، ومحاربة الفساد. ويخلط الكثير بين حملة الشهادات الجامعية والأفراد المتمكنين والمنتمين إلى فئة النخبة. ويمكن توضيح الاختلاف بين هذه الفئات من خلال شكل في صورة هرم، قاعدته من حاملي الشهادات الجامعية، والفئة التي بعدها من المتمكنين في مجالات اختصاصاتهم وعملهم، ونجد في القمّة فئة النخبة. حيث تكون قاعدة حملة الشهادات واسعة ثم تضيق فيما يخص عدد المتمكنين، ليقل عدد المنتمين إلى فئة النخبة في المجتمع، كما هو موضح في الشكل التالي:

شكل 2

هرم الكفاءات المتمكنة والنخب

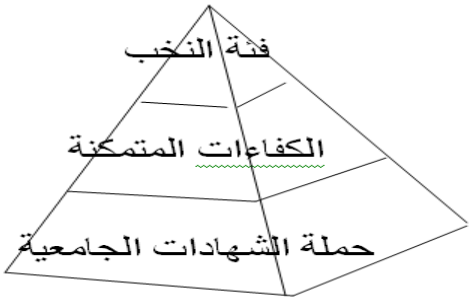

دور الجامعة في صناعة نخب متمكنة

إن إيجاد نخب في أي مجتمع، لا يتم بطريقة عفوية، وذلك بسبب تعقد الحياة وتعدد مشاكلها في العصر الحديث. لذا فإن ذلك يتطلب تعليمهم تعليما متميزا من أجل تنمية بعض الخصائص النفسية والسلوكية والعلمية عندهم. وتتميز الجامعات في الدول المتقدمة بمجموعة من الخصائص، تتمثل أهمها في انخفاض عدد الطلبة في الفصول، والتركيز على التطبيق واستغلال المخابر، والتشدد في اختيار الطلبة الذين يتم قبولهم، والصرامة في الامتحانات وفي مناقشة الرسائل الجامعية. وفي الحرص على الانضباط والصرامة وعدم إهدار الوقت في الجامعات التي تبقى مفتوحة طوال السنة. ففي الجامعات البريطانية تغلق مكتبات ومخابر الجامعات يومين في السنة فقط، وهما عيد رأس السنة وعيد الفصح بالنسبة للمسيحيين. وبإمكان الطلبة الباحثين الدخول إلى مكاتبهم ومخابرهم والخروج منها متى شاؤوا، من أجل الدراسة والبحث، وأن مراكز تحليل البيانات لا تغلق قبل منتصف الليل. وهو ما أدى بالجامعة البريطانية، كغيرها من جامعات الدول المتقدمة، إلى المساهمة في تنمية خصائص نفسية عند الطلبة متمثلة في الجدية والصرامة والانضباط وحب العمل، وغيرها من الخصائص النفسية التي تسمح بإيجاد طلبة متمكنين. وعند فشل الطلبة في الاستجابة لهذه الشروط والمتطلبات، عادة ما يتم إقصاؤهم. لذا فإن جامعات تلك الدول تساهم في إيجاد النخب العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية...، حيث لا تتخرج منها إلا الكفاءات المتمكنة. وإذا أمعنا النظر في أداء جلّ الجامعات العربية، فإننا نجد مستوى خرجيها ضعيف، رغم كون عدد كبير منهم يحصلون على شهادات، إلا أنه تنقصهم الكفاءة، وبالتالي فقليل منهم من يرتقي إلى مستوى الفئة المؤثرة في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ذلك أن الممارسات السائدة في الجامعات العربية عموما، تتصف بارتفاع مستوى التغيب، وعدم الجدّية والغش في الامتحانات، وتوسّع ظاهرة الشعبوية التي مست الجامعة، حيث سهولة الانتساب والنجاح والتخرج، والحصول على الشهادات دون ما يقابلها من كفاءات، وكلّها عوامل أدت بخريجيها إلى فشلهم في التمكن من مختلف المعارف العلمية والتطبيقية، ومن الحصول على الزاد العلمي والتدريبي الضروريين للنجاح في الحياة الاجتماعية والمهنية... فهم يفتقدون إلى الشروط العلمية والنفسية الضرورية والمتمثلة في الجدّية والصّرامة والانضباط... وهي جوانب تحرص الجامعات المتقدمة على تنميتها، في حين فشلت الجامعات العربية عموما في غرسها عند الطلبة، وبالتالي فشلت في إيجاد أفراد متمكنين فعالين في تدخلاتهم، وهي ممارسات لا تساهم في إيجاد النخب المتعلّمة، والكفاءات المتمكنة. كما أن أهداف جلّ الطلبة تبقى محدودة، تنحصر في الحصول على الشهادة. لذا من الأهداف السائدة عند جلّ الطلبة هي الحصول على معدلات تسمح بالنجاح، والتفكير في العمل وجمع المال، ثم الزواج وشراء سيارة...إلخ. وهي أهداف لا ترقى إلى مستوى يسمح لهم بالارتقاء إلى مستوى التمكن، فما بالك الانتماء إلى فئة الصفوة.

مناقشة

رغم أهمية الشهادة الجامعية، إلا أنها ليست دائما ضرورية، وخاصة إذا كان أداء الجامعات محدودا، إذ بالإمكان أن يصبح الفرد متمكنا في أحد المجالات، أو أن يصبح ضمن النخب المؤثرة دون أن يكون حاصلا على شهادات جامعية، ولنا في التاريخ عدة أمثلة عن ذلك. خاصة في عصر الإنترنت حيث بإمكان الفرد التعلم وتوسيع معلوماته وثقافته، دون دخول الجامعة. إن التمكن والانتماء إلى النخب المؤثرة عملية نسبية، تتباين مستوياتهما ما بين المرتفعة والمتوسط والضعيفة. وقد يكون الفرد جيدا في بعض الجوانب وضعيفا في أخرى. ويرى كثير من الباحثين أن سبب العجز في ظهور نخب متمكنة حقيقية بالدول النامية، يعود إلى فشل جامعاتها في تحقيق ذلك. في حين يرى خريجو الجامعات، بما في ذلك العاطلين منهم، أن السبب لا يعود إلى ضعف كفاءاتهم، بل إلى المحيط غير المناسب، وإلى السياسة المتبعة في تهميش الشباب المتعلّم، بدعوى نجاح كثير من الشباب خارج أوطانهم في بلاد المهجر. غير أن ما يمكن ملاحظته وجود الآلاف من الذين يهاجرون سنويا إلى أوروبا وأمريكا أو إلى دول الخليج العربي، ولكن القليل منهم من يتمكنون من فرض أنفسهم في مناصب قيادية بالمؤسسات التي يشتغلون بها. بينما ينتهي المطاف بغالبيتهم كعمال عاديين في مختلف المؤسسات ومنها محلات الأكل السريع. فالكفاءات والأفراد المتمكنون لا يستطيعون السكون والقبول والفشل. لذلك فهم يجدون طرقا للهجرة والبحث عن أماكن بإمكانهم إبراز قدراتهم فيها، وهو ما يعجز غير المتمكنين من تحقيقه. فالفرد المتمكن يعرف كيف يواجه المشاكل

والصعوبات، لما يتحلى به من كفاءات. ففي نفس البيئة، نجد ناجحين وفاشلين وما يحدّد ذلك هي كفاءاتهم. وهناك صعوبات وعوائق تعترض الشباب المتخرجين من الجامعة، إلا أن عوائق المحيط أصبحت حجة لتبرير فشل غير المتمكنين. في حين يتميز أفراد النخب ببروزهم في المجتمع بإنجازاتهم المختلفة. مع ذلك، نجد في الدول النامية كثيرا ما يبرز أفراد ليس بكفاءاتهم ودورهم الفعال في المجتمع، بقدر ما يبرزون بطريقة اصطناعية نتيجة نفوذهم أو نفوذ أوليائهم وأصدقائهم، وبالتالي فهم يبرزون نتيجة النفخ الإعلامي (بوزيان، 2012؛ تناح، 2019). وبالتالي فإن أفراد هذه الفئة يعودون إلى حالتهم كأفراد عاديين بمجرد زوال الجهات الداعمة لهم. كما أن العدد الكبير من خريجي الجامعات بما في ذلك عدد لا يستهان به من حاملي شهادة الدكتوراه، هم غير متمكنين وليس بإمكانهم الانتماء إلى فئة النخبة، ونجد كثيرا منهم عاطلين عن العمل. فلو كان حملة الشهادات متمكنين، وينتمون إلى فئة النخبة لشهدت الدول العربية نقلة نوعية في كلّ المجالات الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والعلمية والثقافية. ولتدارك ذلك يجب إعادة النظر في المنظومة التربوية وإصلاح الجامعات حتى تتحول من تخريج حملة شهادات عاطلين، إلى مصنع للكفاءات المتمكنة التي تساهم قي صناعة النخب، وعدم اكتفائها بتوزيع الشهادات على كل من يلتحقون بها.

خلاصة

تتميز الدّول والمجتمعات المتقدمة بنجاح نظمها التربوية وجامعاتها في تخريج فئة واسعة من الكفاءات العلمية التي تثبت نفسها كنخب ثقافية وسياسية واقتصادية فعالة على أرض الواقع. أما الدول المتخلفة فتعرف بفشل جامعاتها في تدريب متخرجين أكفاء. لم تعد أهداف الجامعة منحصرة في حشو أذهان الطلبة بمجموعة من المعلومات والمعارف العلمية، بل أصبح من بين أهدافها إيجاد نخب كفأة متمكنة، بإمكانها قيادة المجتمع في مختلف المجالات الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية. ذلك أن الشعوب والأمم تتطور بطاقاتها البشرية المتمكنة وبنخبها العلمية والسياسية. لذا يجب العناية بأساليب تطويرها لتصل إلى درجة من الفعالية تسمح لها بالتأثير الإيجابي على المجتمع والدولة من كل النواحي. لهذا أصبح من الضروري على علماء النفس والاجتماع الاهتمام بهذه الفئة ودراسة خصائصها والتعرف على نقائصها وطرق تداركها، وتدعيمها حتى تقوم بدورها الريادي في المجتمع، وتساهم في إخراج شعوبها من دوامة التخلف.

المراجع

السويدي، محمد. (1990). *علم الاجتماع السياسي*. ديوان المطبوعات الجامعية.

القرآن الكريم.

باي، فاتح. (2015). دور الجامعة الجزائرية في إنتاج النخب المثقفة (أطروحة ماجستير، قسم علم الاجتماع). جامعة سطيف 2.

بوزيان، نصر الدين. (2012). صناعة النخب "الزائفة" في وسائل الإعلام. (2012). *مجلة الحقيقة*، *11*(*4*)، 549-565.

تناح، محمد. (2019). مشكلة النخب المزيفة في الجزائر. العربي الجديد. https://www.alaraby.co.uk /مشكلة-النخب-المزيفة-في-الجزائر.

رضا، أحمد. (1960). معجم متن اللغة، 5. دار مكتبة الحياة.

زبيري، عبد الله. (2011). المجتمع المدني وصناعة النخب. *دراسات استراتيجية*، *15*، 135-156.

عباسي، نعمان. (2010). الحكم الراشد وأولوية ترتيب المشهد النخبوي في الجزائر. *مجلة الباحث الاجتماعي*، *10*، 113- 127.

غيات، بوفلجة. (2020). دور الجامعة في تلبية حاجات المجتمع المقاولاتي. في الملتقى الوطني حول مخرجات التكوين الجامعي وإشكالية توافقها مع سوق العمل.

غيات، بوفلجة. (2020). طبيعة القيم السائدة في المجتمع وأثرها على مدى تمكين أعضائه: دراسة أولية. *مجلة التمكين الاجتماعي*، *2*(*4*)، 157- 165.

قنديل، أماني. (2008). *الموسوعة العربيّة للمجتمع المدني*. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

كبار، عبد الله. (2013). النخبة الجامعية والمجتمع المدني في الجزائر: قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع والممارسة. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*. *11*، 215-227.

Boufeldja, G. (2016). *Women's Empowerment Through Entrepreneurship in Algeria*. In Radovic-Markovic, M., & Kyaruzi, I. S., Kyaruzi, & Nikitovic Z. (Eds.), *Entrepreneurship: Types, Current Trends and Future Perspectives*. eee-conference.com.

Pareto, V. (1991). *The Rise and Fall of Elites: Application of Theoretical Sociology*. Routledge.